

الفصل الرابع

الكتابة المستترة والكذب الأبيض

"بينما تبرهن دوما الرذيلة في تحررها من العقل أنّها حقيقة مخزية، فإنّها في الوقت نفسه؛ تؤكد أنّها من أكثر الحقائق؛ التي لا يرقى إليها الشك في التاريخ".

ويليم إدوارد ليكي¹

¹ - ويليم إدوارد هارتبولي ليكي William Edward Hartpole Lecky (1838 – 1903م) مؤرخ إيرلندي ومنظر سياسي، من مؤلفاته: تاريخ إنجلترا في القرن الثامن عشر، 1878م، تاريخ الأخلاق الأوروبية من أوغسطين إلى شارلمان، 1869م، الديمقراطية والحرية، 1896م. انظر الموسوعة البريطانية:

الفصل الرابع الكتابة المستترة والكذب الأبيض

تمهيد

تأثر شتراوس، كما اتضح في الفصول السابقة، على نحو كبير بالفكر الكلاسيكي، لا سيّما بفكر سقراط وأفلاطون الفلسفي، ولعلّ تجربة إعدام سقراط من أكثر الدروس؛ التي تعلم منها شتراوس خطورة الكتابة الصريحة exoteric في مقابل الكتابة المستترة esoteri، التي تحمل مفاهيم عن إضمار المقاصد في سياق الكتابة، وعن الاضطهاد، وفن الكتابة ما بين الفلسفة والمدينة، فضلاً عن فلسفة الكذب الأبيض وسياسة الخارجية الأمريكية المعاصرة من حيث مدى تأثير فكر شتراوس وأتباعه على صناع القرار فيها.

أولاً- مفاهيم وتعريفات

مفهوم الكتابة المستترة

يشير ستيفن سميث إلى أن: "اكتشاف شتراوس للكتابة المستترة الإيزوتيرية esoteric يعود إلى الثلاثينيات من القرن العشرين"¹، وعلى وجه التحديد، وفقاً لـ نيكولاس زينوس، إلى 1935م، حينما نشر كتاباً عن هوبز وكتاباً آخر بعنوان: الفلسفة والقانون، ويعدّ الأخير، "الذي تناول فيه فكر ابن ميمون مايمونيديس Maimonides وعدداً من القضايا اليهودية، هو الكتاب الذي أعلن فيه اكتشافه لما أطلق عليه: الطريقة المنسية للكتابة"²، ويضيف أنه بينما: "وصف شتراوس ذلك بوضوح كبير في منتصف الثلاثينات، في دراسته للفارابي* وابن ميمون (مايمونيديس) فإنه نفسه لم يبدأ الكتاب بهذه الطريقة؛ حتى استقرّ في الولايات المتحدة 1938م"³، وتذهب شاديا دروري إلى أن أستاذ شتراوس مارتن هيدجر قد ترك ذلك الانطباع عن الفلسفة الباطنية لدى شتراوس، وذكرت: "أنّ لا شيء يترك أثراً في شتراوس أكبر من ذلك الذي يتركه

¹- Steven B. Smith, **Reading Leo Strauss: politics, philosophy, Judaism**. p. 163.

²- Nicholas Xenos, **Leo Strauss and the Rhetoric of the War on Terror**,

* سيأتي الحديث عنه لاحقاً.

³- Nicholas Xenos

أسلوب هيدجر في دراسة النص، فقد أعجب كثيرًا بأسلوب هيدجر في تحليل كتاب أرسطو الميتافيزيقا¹، وذلك ما علمه بدوره لتلاميذه، وعن ذلك يقول ستانلي روزن، أحد أشهر تلامذة شتراوس: "إن ما علمنا إياه هو كيف نقرأ، وكيف نفكر فيما نقرأ"²، وحول معنى الكتابة المستترة يرى تورفالد دتلفزن في كتابه **القدر بوصفه صفة** أن المعرفة دومًا هي من شأن الفرد أو قلة، فالضالعون في المعرفة هم من الدائرة الداخلية لها **الإيزوتيرية Esoterica** وتعني باليونانية **الداخل** بخلاف من هم خارجها في الدائرة الخارجية **Exoterica** وتعني باليونانية **الخارج**³، وبناء على ما سبق، يكون هناك نوع من الكتابة للخاصة ونوع آخر للعامة، وفي هذا الصدد يستشهد ليو شتراوس بما ذهب إليه الكاتب الألماني جوتفريد إفرايم ليسينج Gotthold Ephraim Lessing في الثالث الأخير من القرن الثامن عشر من أن التمييز بين الكتابة المعلنة والكتابة المستترة كانتا موجودتين لدى الفلاسفة القدامى⁴، ويصفه شتراوس بأنه كان آخر الكتاب؛ الذين كشفوا الأسباب التي تدفع الرجال الحكماء إلى إخفاء الحقائق، لقد كتب بين السطور حول الكتابة بين السطور.

ويلخص شتراوس وجهة نظر **ليسينج** في عرضه للكتابة المعلنة تمييزًا لها عن الكتابة المستترة على النحو التالي:

¹ - عماد فوزي شعبي، ليو شتراوس وتأسيس الفلسفة الباطنية، مجلة جامعة دمشق، المجلد 30، العدد 2+1 - 2014م، الموقع

<http://www.damascusuniversity.edu.sy/mag/human/images/stories/1-2-2014/a/481-505.pdf> ، ص. 854.

² - Stanely Rosen, **Leo Strauss in Chicago**, Daedalus, Vol. 135, No. 3, On Body in Mind (Summer, 2006), pp. 104-11. (on), p. 107.
http://www.jstor.org/stable/20028058?seq=1&Search=yes&resultItemClick=true&searchText=au%3A&searchText=%22STANLEY+ROSEN%22&searchUri=%2Faction%2FdoBasicSearch%3FQuery%3Dau%2522STANLEY%2BROSEN%2522%26amp%3Bwc%3Don%26amp%3Bfc%3Don#page_scan_tab_contents

³ - عماد فوزي شعبي، مرجع سابق، ص. 486، انظر
<http://www.damascusuniversity.edu.sy/mag/human/images/stories/1-2-2014/a/481-505.pdf>

⁴ - Leo Strauss, **the rebirth of classical political rationalism**, p. 64.

- 1- يؤكد ليسينج أن كل الفلاسفة القدامي، استخدموا الأسلوب المعلن للحقيقة، المختلف عن الأسلوب المستتر.
- 2- يعتمد الأسلوب المعلن للحقيقة على الإدلاء بتصريحات يعدّها الفيلسوف نفسه مجرد تصريحات، وليست حقائق.
- 3- إنّ التصريحات المعلنّة الكاشفة (غير السريّة) يقدمها الفيلسوف لأسباب غير الحرص والحيلة.
- 4- بعض التصريحات المعلنّة يتمّ توجيهها للناس الوضيعين أخلاقياً، ممن ينبغي أن ينتابهم الخوف جرّاء تلك التصريحات.
- 5- هناك حقائق محددة يجب إخفائها.
- 6- الدساتير السياسيّة غير مكتملة، بل هي تتجدد وتتغير موادّها مع التغيرات الحاصلة بالمجتمع.
- 7- الحياة النظرية تعلو على الحياة العملية أو السياسية¹.

ويعلق شتراوس هنا، أنّ هذا التلخيص، يفيد بأن هناك: "اتصالاً وثيقاً بين الاتجاه المعلن للكتابة exotericism والاتجاه الخاص للكتابة esotericism بالحياة العملية والسياسية"²، ويشير في موضع آخر أن هناك: "من الفلاسفة والكتاب ممن أظهروا أمراً معيّناً، وهم يضمرون أمراً آخر"³، ويضرب مثلاً بالفيلسوف ابن رشد Averroes فيقول: "حتى منتصف القرن العشرين، كان يُعتقد أنّ ابن رشد معادياً لكلّ الأديان، وعقب الهجوم الناجح لـ رينان⁴ Renan على خرافات العصور الوسطى، يعتبر مفكري اليوم ابن رشد مسلماً وفيّاً"⁵، بل هناك من يعدّه إيمانياً لدرجة الثقي.

ولعلّ مثال شتراوس السابق يشوبه القصور والغموض؛ فليس من الواضح أن المقصود به هو أن ابن رشد نفسه قد استخدم الطريقة المستترة والمعلنّة معاً في الكتابة،

¹- Ibid p. 66

²- Leo Strauss, the rebirth of classical political rationalism, p. 66

³- Leo Strauss, Persecution and the art of writing, p. 33.

⁴- يقصد شتراوس بذلك التناول النقديّ الذي قام به المستشرق والمؤرخ وعالم اللغة الفرنسي "إرنست رينان" Ernest Renan حينما أصدر كتابه "ابن رشد والرشدية" 1852م، وفيه أنكر أن ابن رشد قدم ما يسمى بـ: "الفلسفة" بل وأنكر أن تكون هناك فلسفة عربية من أساسه، وقد عُرف عن هذا المستشرق عدائه الشديد للحضارة العربية والإسلامية. انظر:

Harold W. Wardman, Ernest Renan, (on) Encyclopedia Britannica,

<http://www.britannica.com/biography/Ernest-Renan>

⁵- Leo Strauss, persecution and the art of writing, p. 17

أما أن المقصود هو أن تفسير الفلاسفة والمفكرين أنفسهم لفكر ابن رشد قد تبين عبر السنين؛ حيث أُعتبر في زمانه ملحدًا، ثم يُنظر إليه - الآن - على أنه تقياً! وإن كان التفسير الأخير هو الأرجح، فإن استخدامه من قبل الفيلسوف كمثال لا يتصل كثيرًا بسياق حديثه عن الكتابة المستترة.

وفي الوقت الذي ذهب فيه ليسينج إلى أن الكتابة المُعلنة يتم فيها مخاطبة الوضيعين أخلاقياً؛ فإن شتراوس أكد أن الكتابة المستترة يتم عن طريقها مخاطبة القراء الأذكياء فقط، فيقول: "لا يخاطب ذلك الأدب (الكتابة المستترة) كلّ القراء، وإنما القراء الأذكياء فقط، ذوو الأهلية الكفوءة"¹، وعلى الرغم من ذلك، يؤكد نيكولاس زينوس أنه وإن كانت الكتابة المستترة تستهدف فئة معينة فقط من القراء، فإن النص على إجماله كُتب لأنواع مختلفة من الجماهير معا في وقت واحد"²، ويفسر شتراوس موقفه من ضرورة تبني الفلسفة الكتابة المستترة أسلوباً، دون أن يعترف صراحة بأنه فعلاً يتبناها، فيقول: "فقط حينما تتبنى الفلسفة قناع حرية التعبير العامة يمكنها أن تحقق وتنجز وظيفتها العليا، وبالتحديد تجنيد فلاسفة جدد مرتقبين، علاوة على ما تعدّه الكتابة المستترة من أداة تربوية، فمثل أيّ مدرس (أو لاعب بوكير) محترف، لا يجعل المرء يده مكشوفة دفعة واحدة، ولذا يستند المرء تدريجياً إلى كفاءة اللاعب وبالمثل كفاءة اليد، وهذا هو المعنى الحقيقي للفلسفة السياسية؛ هدفها هو: "أن تقود المواطنين الأكفاء، أو بالأحرى أبناءهم المؤهلين، من الحياة السياسية إلى الحياة الفلسفية، ومثل هذا النشاط سيعيد مفسداً للشباب، ولتجنب هذا الاتهام، من الضرورة تبني استراتيجية (الأوديسة) *Odyssean بداءة بالأراء المتفق عليها بشكل أعم، أو التي لها أولوية بالنسبة لنا"³، وتقود جديلاً إلى تلك المبارزة عند ممارسة الحياة الفلسفية، وبهذه الطريقة، وفقط بهذه الطريقة، يظهر الفيلسوف حبه لأبناء نسله.

¹ - Ibid, p. 25.

² - Nicholas Xenos,

* الأوديسة هي ملحمة شعرية يونانية وضعها هوميروس في القرن الثامن قبل الميلاد،

وتتكون من 28 جزءاً، تبدأ قصة الأوديسة بعد نهاية ملحمة (الإلياذة) وتروي قصة عودة أحد أبطال الإلياذة، وهو أوديسيوس ملك إيطاكا إلى الجزيرة وإلى زوجته المخلصة، ومن المعروف عن البطل أنه صاحب فكرة حسان طروادة، انظر:

مديحة عتيق، الأوديسة: ملحمة هوميروس، مجلة منابر الثقافية الإلكترونية، انظر:

<http://www.mnaabr.com/vb/showthread.php?t=5684>

³ - Leo Strauss, the persecution and the art of writing, p. 165.

الكتابة المستترة والاضطهاد

هناك العديد من الأسباب التي أدت إلى ظهور الكتابة المستترة، ويتمثل أولها في تفادي الاضطهاد وعن ذلك يقول ليو شتراوس: "الاضطهاد، هو الذي منح الوجود تقنية مميزة للكتابة، ومن ثم نوع خاص من الأدب، حيث تكمن فيه الحقيقة الخطيرة حول كل الأشياء فيما بين السطور"¹ وهكذا يصبح قدر فلاسفة السياسة: "أن يصبح اتباعهم أشبه شئ بطائفة سرية يتعين على أعضائها إخفاء تعاليمهم؛ عمن هم خارج الطائفة ممن يحتمل أن يكونوا مضطهدين في المستقبل"²، ويُرجع ستيفن سميث تبني شتراوس للطريقة السرية للكتابة إلى سبب آخر: يتمثل في الحسن بالمسؤولية الاجتماعية في دعم القيم السائدة لمجتمع معين، ثم الرغبة في تعذيب وتشويق القراء المرتقبين بوعده كشف الكنز المدفون"³، فلا تصبح الحقائق، معلنة لأي قارئ، ولكن مقتصرة - فقط - من أجل البعض.

ويلخص **دانيال تونسيند** في دراسته: ليو شتراوس والإسلام، أسباب شتراوس في إخفاء المعرفة الفلسفية عن العامة، بأن الفيلسوف لا يود أن يؤدي الأغلبية من غير الفلاسفة؛ الذين من المحتمل أن تكون لهم اعتقادات نافعة عملية، ولكن من المستحيل التحقق منها، أما السبب الآخر، فيتعلق بالتهديد المحتمل لأذى الفيلسوف من قبل غير الفلاسفة"⁴، وهكذا: "كانت الكتابة المستترة لشتراوس شكلاً تتخذه الفلسفة السياسية بصفتها دفاعاً عن النفس"⁵، فيعرضها قضية تاريخية أو اجتماعية سوسيولوجية حول الظروف التي مورست الفلسفة السياسية في الماضي تحت وطأتها.

وفي هذا الصدد، - وفق ستيفن سميث - "لا يمكن للمرء أن يقلل من التأثير الذي أحدثته أحداث الماضي التاريخي القريب، مثل الألماني النازي والحرب الباردة، على مفهوم شتراوس للفلسفة"⁶، ووفق نيكولاس زينوس: على الرغم من اكتشاف شتراوس للكتابة المستترة في عهد النازي واضطهاده، إلا أنه "نفسه لم يبدأ الكتاب بهذه الطريقة حتى جاء إلى الولايات المتحدة 1936م" وهذا الأمر يثير تساؤلاً عن أسباب تبني مثل

¹- Leo Strauss, persecution and the art of writing, p. 25.

²- أنطوني دي كرسيني و كينيث مينوج ، أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة، ص. 15.

³- Steven B. Smith, **Why Strauss, Why Now?**

⁴- Daniel Townsend, **Leo Strauss and Islam.**

⁵- Steven Smith, **Reading Leo Strauss: politics, philosophy, Judaism.** p. 163.

⁶- Ibid. p. 164.

هذا النوع من الكتابة السرية في مجتمع مفتوح، ويجب نيكولاس زينوس، أن شتراوس حينما جاء إلى الولايات المتحدة كان عليه أن يتخذ الأمور بحرص أكبر، وذلك لأنه لم يتوقف بنقده على المجتمعات الديمقراطية الليبرالية، ولكن امتد لأمر عدة يسبر أغوارها بكلمات أخرى، لقد كان أكثر رجعية عما يذهب إليه النقاد المعاصرون¹، ويشير إلى أن الاضطهاد يشمل عددًا كبيرًا من الظواهر، فهو: "يتراوح بين أشد الأنواع قسوة، متجسدة في محاكم التفتيش الأسبانية، إلى الأخف شكلاً، الذي يتمثل في الاستبعاد الاجتماعي، وبين هذين الجانبين المتطرفين، تقع الأنواع الأكثر أهمية من وجهة نظر التاريخ المحض أو التاريخ الفكري"²، "فالفكر السياسي منذ عصر سقراط إلى عصر تروتسكي كان يصاحبه دائما خطر الموت والاضطهاد"³، ويصف ستيفن سميث "إعادة كشف شتراوس للتقليد السري - الكتابة السرية- بأنه أمر، على نحو خطير، مثير للجدل، ويفسر ذلك في المقام الأول، بأن يتصاعد السؤال عن كيف نعرف حالما يكتب المؤلف بطريقة يخفي فيها عمداً أو يضفي غموضاً على تعاليمه، و بالفعل هناك، على سبيل المثال، عدم اتفاق كبير حول إذا ما كان دمج ديكارت الله في نظامه كان حيلة استراتيجية أم كان تعبيراً عبقرياً عن معتقداته الدينية، ويمكن أن يسأل المرء نفس الأسئلة عن حشد من المفكرين، فمثلاً: هل كتب موسى بن ميمون لتأكيد أو تقويض الاعتقاد في أولية البعث؟ هل كتب ميكافلي لنصح أم لتضليل الأمير؟ هل نظرية لوك عن الحقوق الطبيعية، حجر الزاوية الأساسي لإعلان الاستقلال الأمريكي، وتتضمن على نحو سري اتجاه مادي ملحد؟"⁴، ويجب سميث بأن الإجابة عن هذه الأسئلة ليست واضحة بذاتها، ويتضح ذلك مما قاله ديكارت حول نفسه بأنه "كان يكتب متخذاً من مصير جاليليو مثالا فيما يتعلق بالتحقيق الذي أثار وبشدة في ذهنه"⁵، ونحن نعلم من السير الحديثة الخاصة، مثل بلوك أنه كتب تحت إشراف دائم؛ لدرجة أن رئيس جامعته أوكسفورد أشار إليه بأنه أستاذ الرمز وقلة الكلام.

فن الكتابة المستترة بين الفلسفة والمدينة

ميّز شتراوس بين الرأي والحقيقة، وتوصّل إلى نتيجة ذكرها على شكل قياس منطقي، فالفلسفة هي محاولة استبدال الرأي بالمعرفة، وهو ما يفضي إلى عنصر

¹- Ibid.

²- Leo Strauss, **persecution and the art of writing**, p. 23-33.

³- أنطوني دي كرسبني وآخر، أعلام الفلسفة السياسية، ص. 15.

⁴- Steven Smith, **why Strauss, why now?**

⁵- Ibid.

المدينة، ومن ثمَّ عدَّ الفلسفة مدمرة، إذا لم تتطور طريقة كتابتها؛ إذ: "يجب أن يخفي الفيلسوف ما يفعله بالفعل"¹، ويوهم جمهور القراء بضرورة البناء بدلاً من الهدم.

وقد اتبع ذلك النهج، وفقاً لشتراوس، فلاسفة ما قبل العصر الحديث أو ما قبل التنوير؛ حيث أدركوا: "أن الفلسفة مدمرة؛ لأنها تقوم على التشكيك، ثمَّ التقويض جزئياً، للاتجاهات والمعتقدات والقيم السائدة، أمّا فلاسفة ما قبل عصر التنوير؛ فلم يروا الفلسفة مقوّضة، بل يجب ألا تفضي إلا إلى الصالح العام، وقد جعل هؤلاء الفلاسفة كتاباتهم وخطبهم الشعبية معتدلة"² ولذلك آمن هؤلاء بإقصاء بعض أشكال المعرفة عن الأغلبية، من دون هدم أركانها.

وبهذا يكون دور الفلاسفة أن يقنعوا المدينة (أهل المدينة) بأنهم ليسوا مدمرين، ولعلَّ موسى بن ميمون Maimonides وغيره من الفلاسفة يكتبون - على الأقل - لنوعين مختلفين من الجماهير: "الأول من الجماهير يطلق عليهم المعنى المعلن *exoteric* للنصوص، المعلم، ذو المستوى السطحي، بينما لجمهور آخر يوجهون المعنى الخفيّ السريّ *esoteric* المتغلغل داخل النص، الذي يستطيع استكشافه فقط بعض الناس"³، ولعلَّ اكتشاف هذا؛ هو ما قالت عنه ابنة شتراوس؛ سيظل دوماً إسهامه الباقي في الفلسفة.

وهكذا يجب أن تستمر الفلسفة أو العلم مختصّين بالأقلية، ويجب أن يحترم الفلاسفة والعلماء الآراء التي يستند عليها المجتمع، وأن تحترم الآراء هو أمر مختلف تماماً عن أن تتقبّلهم بصفقتها حقيقة، ومن ثمَّ فإنَّ الفلاسفة أو العلماء الذين يتبنون وجهة النظر هذه حول علاقة الفلسفة أو العلم بالمجتمع مهينون؛ لتوظيف أسلوب خاص في الكتابة يمكنهم من أن يكشفوا عما يعتبرونه حقيقة للأقلية"⁴، ولكن من دون المساس بالالتزام غير المشروط للأكثرية حول الآراء التي يستند إليها المجتمع.

وفضلاً عن تجنب الاضطهاد، أو ما يُطلق عليه شتراوس "حماية النفس من الفلسفة"⁵ بصفته سبباً أوضح للكتابة المستترة، كما سبق الإشارة إليه، فهناك أيضاً بعداً

¹- Nicholas Xenos, **Leo Strauss and the Rhetoric of the War on Terror**,

²- Danial Townsend., **Leo Strauss and Islam**, p. 20.

³- Nicholas Xenos, **Leo Strauss and the Rhetoric of the war on Iraq**.

⁴- Steven Smith, Reading Leo Strauss. p. 163.

⁵- Ibid, p. 165.

يصفه ستيفن سميث بأنه بعداً إنسانياً وهو ذلك الذي يعتبر "حرية التصرف شكلاً أعلى للإلزام الاجتماعي، وعلى الفلاسفة واجب أن لا يحقروا الرأي الرشيد؛ الذي يُبنى عليه المجتمع، وقد كتب شتراوس أن: "التعليم السياسي الذي يوجّه بشكل متساوٍ إلى الرجال المهذّبين وغير المهذّبين سيبدو للقادمي أنّه من الخارج على أنه ليس سياسياً"¹، وهذا ما يخلو من المسؤولية السياسية والاجتماعية.

بالإضافة إلى ما سبق، يعدّ الصراع الأبديّ بين الفلسفة والمدينة أحد أوجه أسباب تمسك شتراوس بالكتابة المستترة، فبالنسبة له يعدّ البحث الذي ينظر إلى الغايات الإنسانية، إلى مسألة الخير، هو نشاط مدمر لخير المدينة، وبمصطلحاته، تكون المدينة، ويجب أن تكون مغلقة، إذ: "يوجد صراع لا يمكن حلّه بين الفيلسوف - النوع الأعلى للإنسان الذي يعيش بانفتاح للطبيعة على إجمالها - مع المدينة، التي بحكم الفطرة يجب أن تكون مغلقة على الطبيعة بإجمالها"²، ويكمن الصراع بين الفيلسوف والمدينة في قلب فكر شتراوس، وفي قلب قراءاته لأفلاطون، وبالنسبة لشتراوس لا يعدّ الجدّ / الحوار الأفلاطوني ميتافيزيقياً، ولكن ظاهرة سيكولوجية وعلماً اجتماعياً للعلاقة بين الفيلسوف والمدينة.

ويشير ستيفن سميث إلى أنّ هناك جدالاً مهماً حول مصادر استعادة شتراوس للتقليد السري للكتابة، "هل يرجع مصدره إلى الاستخدام البارع لأفلاطون للحوار السقراطي؛ لينقل معانٍ متنوعة إلى قراء مختلفين دون التحدّث فعلياً باسمه الحقيقي؟ هل كان موجوداً في قراءات موسى ابن ميمون المجازيّة لبعض فقرات التوراة؟ أو هل كان موجوداً في تصور نيتشه؟ إنّ كلّ هؤلاء الذي يتميّزون بالعمق يحبّون دوماً الأقنعة! لقد أحبّ شتراوس نفسه الأقنعة؛ بل اعترف في خطاب أرسله لزميله المهاجر كارل لويث Karl Löwith أنه فتن بـ نيتشه في الفترة العمرية له من 22 إلى 30 عاماً حيث إنّه آمن بكل شيء استطاع فهمه منه"³ ثم ينفي ستيفن سميث بأن شتراوس كان نيتشياً. وكما قال إن ما أحدثه فيه نيتشه من أثر تحطّم بعدما وصل إلى سن الثلاثين. ولكنه مازال يحمل معه شيئاً من حبّ نيتشه لمكاشفة الآخرين ورغبته؛ في أن يختفي وراء أقنعة من صنعته الخاص"⁴، ولا يمكن لشخص أن يدعي أنه قرأ بجديّة شتراوس دون أن يستحوذ عليه تقديره لذلك الحس الهائل من السخريّة الذي يغلب على أسلوبه في القراءة والكتابة.

¹- Ibid, p. 165.

²- Neil Robertson, **LEO STRAUSS'S PLATONISM**.

³- Steven Smith, **why Strauss, why now?**

⁴- Ibid.

ومن الواضح أن شتراوس قد تأثر فعلياً بآراء نيتشه، ويؤكد في هذا الصدد دانيال تاونسيد: "أن شتراوس يقبل إدعاء نيتشه بأن الحقائق الفلسفية مميتة"¹، وأن شتراوس يؤمن بأن كثيراً من الفلاسفة القدامى وضعوا قناعاً على هذه الحقائق المميتة مستخدمين الكتابة المستترة"² والكتاب الذي يشمل كتابة مستترة لا يتم توجيهه للأغلبية غير الفلسفية، فمثل تلك الأغلبية ستجد بسهولة نوعية الكتب المتضمنة للكتابة المعلنة.

ويقول شتراوس مؤكداً ذلك: "الفلسفة هي محاولة استبدال الرأي بالمعرفة؛ ولكن الرأي هو عنصر وأساس المدينة، وبناء عليه تعدّ الفلسفة هدامة، ومن ثمّ يجب على الفيلسوف أن يكتب بالطريقة التي سيُحسن بها أكثر البناء المجتمعي"³ بدلاً من أن يهدم المدينة.

ويرى شتراوس أنه وإذا كانت الفلسفة قد استخدمت في فترات زمنية معينة من قبل الحكام لدعم نظمهم السياسية ومهاجمة خصومهم السياسيين، فإن ذلك كان وضعاً وقتياً، ولكنه ما لا يعد أمراً عارضاً أو وقتياً؛ فهو: "التوتر بين الفلسفة السياسية والمجتمع، فهذا التوتر على قوله "ليس بالحقيقة التاريخية أو الاجتماعية العارضة؛ ولكنه بالأحرى شرط "ضروري " لوجود الفلسفة كما هي عليه"⁴ وهذه هي فكرة الانسجام العرضي بين الفلسفة والمجتمع؛ التي ستنتهي غاية الفلسفة بصفاتها نشاطاً نقدياً.

ولكن أليس نهج إخفاء الحقائق هذا تحت مظلة "الكتابة المستترة" قد يعوّق ويحول دون وصول المعلومات كاملة إلى قارئها، يجيب شتراوس في كتابه: **الاضطهاد وفن الكتابة**: "إنّ الكتابة المستترة لا تتعارض مع توصيل المعلومات إلى قارئها كل على قدره...، فالكتابات متاحة لكل من يستطيع القراءة، ومن ثمّ فإنّ الفيلسوف الذي يختار الطريقة الثانية يمكنه أن يشرح الآراء فقط كما يبدو ملائماً للأغلبية غير الفلسفية، وبذلك تكون كتاباته كلّها - بشكل مطلق - معلنة exoteric"⁵، وإنّ كانت هذه الآراء - في كل حالاتها - غير مطابقة للحقيقة، فإنّ الفيلسوف، يكون كارهاً، وتكمن كراهية الكذب في روحه أكثر من أي شيء آخر، فإنّه لن يخضع نفسه حول حقيقة أن هذه الآراء هي بشكل محض حكايا محتملة، أو أكاذيب بيضاء noble lies أو آراء محتملة، وسيترك

¹- Danial Townside, **Leo Strauss and Islam**, p. 18.

²- Ibid, p. 19.

³- Steven Smith, **reading Leo Strauss**, pp. 164, 165.

⁴- Ibid, p. 165.

⁵- Leo Strauss, **persecution and the art of writing**, p. 35.

ذلك لقرائه الفلاسفة لحل / أو كشف حقيقة السياق الشعريّ أو الجدليّ وبضيف: "وهكذا فإن أي كتاب صريح سيتضمن تقنيتين: تدريس عام ذو سمة متسقة، وتظهر في المقدمة؛ وتدرّس فلسفي يتصل بالموضوع الأكثر أهمية، والذي يأتي فقط ما بين السطور"¹، وتتضح تقنيات هذه الكتابة في عدد من مؤلفات شتراوس وخاصة كتابه **الاضطهاد وفن الكتابة** (1952م) حيث يبيّن شتراوس، من خلال دراسته لأعمال موسى بن ميمون ويهودا اللاوي وإسبينوزا، ماهية فن الكتابة بين السطور عن طريق معرفة كيفية القراءة بين السطور، ويتناول الموضوع نفسه في كتابه كيفية دراسة كتاب دلالة الحائرين (لموسى بن ميمون)؛ الذي يعطي الباحثين والدارسين في هذا المجال أدوات اكتشاف ما هو كامن ومستتر في كتاب الدلالة² ولعلّ دراسته حول فكر إسبينوزا ونقده للدين الصادرة 1930م بداية هذا الاتجاه.

الكتابة المستترة بين شتراوس والفارابي وأفلاطون

يثير تفضيل شتراوس الكتابة المستترة تساؤلاً حول هؤلاء؛ الذين وقع تحت تأثيرهم، ويأتي على رأس هؤلاء فلاسفة العصور الوسطى: الفارابي وموسى ابن ميمون، وفي هذا الصدد قال نيكولاس زينوس إن: "شتراوس كان منشغلاً بموسى ابن ميمون ووصل إلى نتيجة مفادها؛ أنه حتّى يفهمه عليه أن يفهم الكتاب؛ الذين يمت فكره بصلة بهم مما قاد شتراوس إلى الفارابي، الفيلسوف الإسلامي في العصور الوسطى"³، ولإيضاح عوامل التأثير، سيتم تناول نبذة عن الفارابي وفكره، ودوره، وتأثيره بأفلاطون، ثم عرض عوامل تأثير شتراوس بكليهما؛ فيما يتعلق بفن الكتابة المستترة.

¹- Ibid, p. 35.

²- المؤلف غير معروف، عن ليو شتراوس، الموسوعة المعرفية، في:

<http://www.almessiri.com/encyclopedia/JEWISH/ENCYCLOPID/MG3/GZ2/BA11/MD10.HTM>

³- Nicolas Xenos,

عن الفارابي وأعماله

حظيَّ الفارابي بمكانة مرموقة في تاريخ الفلسفة الإسلامية؛ حتَّى يمكن القول: "إنَّ الذين جاءوا بعده، من أتباع ملل الوحيِّ الثلاث، أكَّدوا موقعه المرموق باعتباره السلطة الأعظم منذ أرسطو، بإطلاق اسم **المعلِّم الثاني** عليه"¹.

ولد أبو نصر الفارابي في 870م في بلدة فاراب، في تركيا، و: "ترعرع ودرس في تلك البلدة قبل ذهابه إلى بغداد؛ لمتابعة تحصيله العلمي، ثم سافر، بعدها، متجولاً في أرجاء الإمبراطورية البيزنطية، لاستكمال أبحاثه في إحدى مؤسسات تعليم اللغة العربية، وهي مؤسسات قريبة من الحدود، وقفل عائداً إلى بغداد، حيث درّس؛ حتَّى اضطرته شروط العاصمة العباسية لمغادرتها إلى سوريا؛ وفيما بعد إلى مصر، ثم قفل عائداً منها إلى سوريا؛ ليستقر فيها حتَّى وفاته في عام 950م"²، وقد أقبل الفارابي على دراسة الفلسفة الإغريقية، وأسهم بدور كبير في شرحها والتعليق عليها، بل والإضافة لها أيضاً، و: "كتابه صغير الحجم: **الجمع بين رأيي الحكيميين أفلاطون وأرسطو**، محاولة هامة لتصحيح عدد من الآراء التي اشتهرت عن الفيلسوفين الإغريقين نتيجة سوء الفهم لبعض نصوصهما، أما **إحصاء العلوم** الذي ترجم عدة مرات إلى اللغة اللاتينية، وكذلك إلى العبرية خلال القرن الثالث عشر الميلادي، فهو أول محاولة منهجية في مجال تصنيف العلوم عن المسلمين"³، وعُرف عن الفارابي أنه لم يكن فقط من أنصار **الثقافة الأجنبية** التي شاعت بين المسلمين حينئذ وتمثّلت فيما ترجم إلى اللغة العربية من الفلسفة الإغريقية، وتفسيراتها من الأفلاطونية المحدثة، بل: "إنه كان من أكبر دعاة، والمساهمين في نقلها، وشرحها، وتبسيطها، ويزيد عليهم، وهو أول من صاغ الفلسفة الإسلامية في ثوبها الكامل، ووضع لها أصولها ومبادئها"⁴، وامتاز أيضاً باهتمامه الواضح بالمسألة السياسية.

وكان من بين أساتذة الفارابي في آسيا الوسطى وفي بغداد علماء مسيحيون، يعيدون أصل تعاليمهم الفلسفية إلى مدرسة الإسكندرية، تلك المدرسة الفلسفية الوثنية الأفلاطونية التي كانت قد تنصّرت في نهاية الحقبة الرومانية، إذ: "إنَّ آخر أعضائها

¹- محسن مهدي، الفارابي وتأسيس الفلسفة الإسلامية السياسية، وترجمه إلى العربية د. وداد الحاج حسن، (بيروت: دار الفارابي للنشر والتوزيع 2009م)، ص 4.

²- نفس المرجع السابق. ص 3.

³- حامد طاهر، **المدينة الفاضلة بين أفلاطون والفارابي (دراسة مقارنة)** (القاهرة: دار النشر غير معروفة، 1986م) ص. ص 10، 11.

⁴- نفس المرجع السابق، ص. ص 77، 78.

كانوا قد انتقلوا إلى أنطاكية وحرّان وبغداد وآسيا الوسطى، وبالنظر إلى الوظائف التي كانوا يشغلونها وإلى الكتابات اللاهوتية التي بقيت، يتبيّن أن هؤلاء الأساتذة كانوا من المسيحيين النسطوريين؛ ممن ورثوا تعاليمهم عن الأفلاطونية المحدثة المسيحية؛ التي نقلها أحد آخر ممثلي هذه الفلسفة إلى مدرسة الإسكندرية¹، وبفضل أساتذته النسطوريين وكتابات المفسّرين الكبار الأفلاطونيين المحدثين من مدرستَي أثينا والإسكندرية، أصبح الفارابي ضالماً كفاية في التراث الفلسفي للأفلاطونية المحدثة والتراث اللاهوتي المسيحي الأفلاطوني المحدث، ولم يكن مفاجئاً، إذن، أن يتبنى هذين التراثين، وأن يطور علم الكلام إسلامياً أفلاطونياً محدثاً، إلّا أنه لم يحدث شيء من هذا القبيل، وما يثير العجب، في هذا السياق هو: "رفضه للمعتقدات الرئيسية للتراث الوثني، ولتراث الأفلاطونية المحدثة المسيحي على حدّ سواء، وعودته إلى تراث فلسفي سابق على الأفلاطونية المحدثة، كان قد اكتشفه في أعمال أفلاطون وأرسطو وفي أعمال معلقين، أكثر قدماً، سابقين على الأفلاطونيين المحدثين، وبصورة أدقّ أفلاطونيو العصر الوسيط، "إن تقدير الفارابي للاستخدام الهام والممكن للمراحل والمستويات المختلفة للفلسفة المدنية الأفلاطونية هو موضوع لا يزال بحاجة لأن يدرس، والميزات الظاهرة لهذا التقدير تتمثل في استعادة الفلسفة المدنية الأفلاطونية"²، والاستفادة من بعض عناصرها المتحدّرة من التراث الفلسفي اللاحق للأفلاطونية، وبصورة رئيسة من الأرسطية والأفلاطونية الوسيطة.

الفارابي وأفلاطون والكتابة المستترة

تعدّ الصلة بين الفلسفة الإسلامية والفلسفة الإغريقية صلة قديمة منذ اللحظة التي بدأ المسلمون يشعرون فيها بقدر من الاستقرار الحضاري، و: "خاصة بعد زوال الدولة الأموية (40 – 132 هـ) الذي ارتبط تاريخياً بحركات الفتوحات الإسلامية، أسرعوا بفتح صدورهم وعقولهم لمعظم ما كان موجوداً في الحضارات الأخرى من علم ومعرفة، وكانت الفلسفة أهم ما أخذوه عن الإغريق"³، وبعد الفارابي أحد أهم الفلاسفة المسلمين في عصره، "الذين عكفوا على دراسة الفلسفة الإغريقية وبناء فكر فلسفي يقوم على الدمج بينها وبين الفكر الإسلامي، كما ذكر أنفأ، ولم يبيّن الفارابي، فقط، أن فلسفة أفلاطون وأرسطو تناسب دراسة ملل الوحي، بل إنه يؤكّد أن العلم المدني (علم السياسة)، أو الفلسفة المدنية، هو العلم الفلسفي؛ الذي ينبغي أن تتمّ في نطاقه مثل تلك الدراسة، وهكذا، فإن أهمية الفارابي في تاريخ الفلسفة تقوم على أنه أول فيلسوف طوّر

1- محسن المهدي، الفارابي وتأسيس الفلسفة الإسلامية، ص3

2- نفس المرجع السابق، ص3.

3- حامد طاهر، المدينة الفاضلة بين أفلاطون والفارابي (دراسة مقارنة) ص7.

فلسفة للملّة تعتمد في أساسها على التراث الفلسفي الأفلاطوني والأرسطيّ بشكل عام، وعلى الفلسفة المدنية الأفلاطونية بصورة خاصة، عارضاً إياهما في سياق مماثل لسياق الجمهورية والطيمائوس والنواميس لأفلاطون¹، في الوقت الذي استخدم فيه التراث الفلسفي اليوناني الذي سبق الابتداعات المذهبية التي أدخلتها الأفلاطونية المحدثّة.

ومن أهم الأفكار التي تلتقي فيها الفلسفة الإسلامية بالفلسفة الإغريقية فكرة المدينة الفاضلة، التي كتب عنها كل من أفلاطون والفارابي، وعلى الرغم من أن الفاصل الزمني بين الفيلسوفين ثلاثة عشر قرناً، وأنّ الفيلسوف الأول إغريقي، والثاني مسلم، فإن تأثير الفارابي بأفلاطون مؤكد، فقد: عرّف الفارابي وشرح أو لخص أجزاء كثيرة من فلسفة أفلاطون، لخص مثلاً كتابه النواميس كما برهن على معرفة واعية بمذهب الفيلسوف الإغريقي، وذلك في كتابه القيم **الجمع بين رأيي الحكيمين** أما بالنسبة إلى فكر أفلاطون السياسي، فإن الفارابي يقول: "أفلاطون هو الذي دَوّن السياسة وهذبها، وبين السير العادلة والعشرة الإنسانية المدنية، وأبان عن فضائلها، وأظهر الفساد العارض لأفعال من هجر العشرة المدنية، وترك التعاون فيها"² ومن عوامل التشابه أيضاً بين الفيلسوفين أن كليهما لديه نزعة مثالية واضحة، دفعته إلى أن يتجاوز واقعه السيئ إلى ما ينبغي أن يكون، وأخيراً فـ: "إنّ وحدة المجال؛ التي تجمعهما تتمثل في أنهما قد اتجها إلى معالجة الفكر السياسيّ في إطار فلسفيّ، وعلى نحو يوتوبيّ"³، كما أنهما اتبعا منهجاً عامّاً يكاد يكون واحداً، وتوصّلاً بالتالي إلى نتائج شبه متقاربة.

ثم تأتي الكتابة المستترة كأحد أهم عوامل التشابه بين كل من الفارابي وأفلاطون والتي انتهجاها في حديثهما عن المدينة الفاضلة، وفي هذا الصدد يمكن القول إن النظام المتخيل، لدى أفلاطون، لم يقصد به أن يكون منفصلاً تماماً عن الواقع، كما أنّه لم يستبعد في الوقت نفسه تحقيق هذا التصور في الواقع، وهذا ما يظهر بوضوح في الصفحة رقم 227 من الجمهورية، إذ يقول أفلاطون على لسان سقراط: "وخطتنا – على الرغم من اعترافنا بصعوبتها – ليست مستحيلة التحقيق"⁴، فهناك "صلة وثيقة بين التصور الخيالي والنسق العقلي في جمهورية أفلاطون، حيث استطاع أن يبدو من حيث الظاهر متخيلاً، وحالماً ومحلّقاً"⁵، لكن القراءة الفاحصة تثبت أنه يتخيل عن طريق

1- محسن مهدي، الفارابي وتأسيس الفلسفة الإسلامية، ص.3.

2- حامد طاهر، المدينة الفاضلة بين أفلاطون والفارابي (دراسة مقارنة) ص. ص. 13،

14.

3- نفس المرجع السابق، ص. 14.

4- نفس المرجع السابق، ص. 23.

5- نفس المرجع السابق، ص. 23.

قضايا منطقية أو عقلية، يبنّي بعضها على بعض، وتستخلص النتائج فيها من المقدمات، ويقوم العقل الواعي والمنظم فيها بدور أساسي لا يمكن إنكاره.

وكان استعمال كلّ من أفلاطون والفارابي للكتابة المستترة ردّاً فعل للأزمات؛ التي عاصرها أفلاطون وعاشها، ويقول فؤاد زكريا في دراسته لـ جمهورية أفلاطون: "في اعتقادي أنّه من الأمور المشكوك فيها إلى حدّ بعيد أن يكون هناك مفكر لم يعيش في عصر أزمة، أو على الأقل لم يشعر بأن عصره متأزم إلى حدّ يفوق سائر العصور السابقة عليه¹، ولعل نفور الفارابي من الواقع السياسي المعيش هو من أكثر العناصر ترابطاً مع تلك التي مر بها أفلاطون، ومما يعرف عن الفارابي هو النفور من الواقع السياسي في عصره، وعدم رضاه عن كثير مما يحدث فيه، ولهذا "يعتبر البعض أن عزلة الفيلسوف كانت هي الخطوة الأولى في مواجهة الواقع السياسي السيئ، أما الخطوة الثانية فقد تمثلت في التحليق فوق هذا الواقع، وتصور نموذج مثالي لدولة فاضلة، يعتقد أبنائها اعتقادات صحيحة في الله، وفي الكون، وفي الإنسان"²، ويعد كتاب الفارابي آراء أهل المدينة الفاضلة، وهو من الوثائق النادرة في تاريخ الفكر الفلسفي الإسلامي، لأنه هو الوحيد الذي تناول تصور دول مثالية، أو فاضلة، على غرار ما فعل أفلاطون في الجمهورية³، لكنّ الفارابي حاول أن يقيم بناء هذه الدولة على أساس آرائه وفلسفته في الميتافيزيقا والأخلاق.

في كتابه الشهير آراء أهل المدينة الفاضلة يتحدث الفارابي عن دعائم النظام السياسي الأفضل، ويسهب في الحديث عن رئيس هذا النظام، فيتحدث تفصيلاً عن خصال رئيس المدينة الفاضلة ويصفه بأنه: "الرئيس الذي لا يرؤسه إنسان آخر أصلاً وهو الإمام وهو الرئيس الأول للمدينة الفضلى"⁴، وهو الرئيس الذي اجتمعت فيه بالطبع اثنتا عشرة خصلة قد فطر عليها، "أحدها أن يكون تام الأعضاء ثم جيد الفهم والتصور، جيد الحفظ، جيد الفطنة، ذكياً، حسن العبارة محباً للتعليم والاستفادة، ثم أن يكون غير شره على المأكول والمشروب والمنكوح متجنباً - بالطبع - للعب مبغضاً للذات الكائنة، ثم أن يكون محباً للصدق وأهله مبغضاً للكذب وأهله، ثم أن يكون كبير النفس محباً للكرامة، محباً للعدل وأهله ومبغضاً للجور والظلم وأهلها، ثم أن يكون

1- جمهورية أفلاطون، ترجمة ودراسة فؤاد زكريا، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974)، ص. 6.

2- حامد طاهر، المدينة الفاضلة بين أفلاطون والفارابي (دراسة مقارنة)، ص. 79.

3- نفس المرجع السابق، ص. 80.

4- أبي نصر الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، (القاهرة، مطبعة النيل بمصر، غير معروف) ص. 86.

عادلا غير صعب القياد ولا جموحًا ولا لجوجًا، ثم أن يكون قوي العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي أن يفعل جسورًا عليه مقدامًا غير خائف ولا ضعيف النفس"¹، وتتجلى هنا النزعة المثالية عند الفارابي والتي تتجه إلى وضع نظم معياري لما ينبغي أن يكون، ولاشك أن تلك النزعة تحتوي ضمنا على قدر كبير من التمرد على الواقع، ومحاولة استشراف المستقبل عن طريق رسم صورة متخيلة لأفضل نظام سياسي ممكن، ولهذا ركز كل من الفيلسوفين، الفارابي وأفلاطون، على وضع وصف دقيق لكيفية هذا النظام ووظيفته الخطيرة أو مهنته الملكية، فوضع له أفلاطون منهجًا دقيقًا يبدأ تطبيقه من سن السابعة حتى سن الخمسين، واشترط الفارابي أن تتوافر فيه مجموعة أساسية من الصفات التي تصل إلى اثني عشر شرطًا، على ما ذكر، ومن الواجب أن يكون فيلسوفًا، و"الطريق إلى ذلك عند أفلاطون يتمثل في الدراسة النظرية، والتجربة العملية، أما عند الفارابي فلا بد أن يضاف لهما الجانبين عنصر الإلهام، وهو نوع من الوحي الذي يحس بالحلول الصحيحة لمختلف المشكلات التي تعرض للحاكم، لا يمكن فصل السياسة عن الأخلاق، فالفضيلة مقوم أساسي لبناء الدولة النموذجية"² وينبغي أن يلقنها الحاكم لشعبه نموذجًا وتعاليم، وهنا تبرز أهمية التعليم والتربية المرتبطين أشد الارتباط بالنظام السياسي نفسه.

سرية شتراوس بين أفلاطون والفارابي

اهتمّ ليو شتراوس بالفلسفة الإسلامية، لاسيما فلسفة الفارابي وعلاقتها بالفلسفة الإغريقية القديمة، وقد بدأ اهتمام شتراوس بالفلسفة الإسلامية منذ ثلاثينات القرن العشرين وتحديدًا: "حينما كان في برلين في بداية 1930م، حيث ساعد شتراوس بول كراوس Paul Kraus العالم اللغوي والدارس للفلسفة الإسلامية في ترجمة ملخص قوانين أفلاطون للفارابي Farabi's Summary of Plato's Laws (تلخيص نواميس أفلاطون)، وهي أخطوطة أصلية للفلسفة الإسلامية في العصور الوسطى"³، وتكمن أهمية هذا التلخيص بتأكيد أفلاطون للإخفاء فلسفته الحقيقية وراء الأحجيات والاستعارات والحكايات الرمزية، تبعًا للفارابي، واعتقد أفلاطون أنّ الفلسفة لو وصلت للأيدي الخطأ يتم استخدامها على نحو غير ملائم.

1- أبي نصر الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص.ص. 87 – 88.

2- حامد طاهر، المدينة الفاضلة بين أفلاطون والفارابي (دراسة مقارنة)، ص. 115.

3- Danial Townsend, Leo Strauss and Islam, p.p. 34, 35.

وفي اهتمامه بالفلسفة الإسلامية وتأثره بروادها وخاصة الفارابي، "يصفه بعض الكتاب بأنه أول مفكر يدرك أهمية ثلاثية الفارابي - أفلاطون - أرسطو"¹ ويذهب دانيال تاونسند في مؤلفه *ليو شتراوس والإسلام* إلى أن تأثير الفلسفة الإسلامية للعصور الوسطى - وعلى وجه التحديد أعمال الفارابي - "تتجلى على شتراوس في كتابه *التاريخ والفلسفة السياسية* (1963م) في فصل أفلاطون وفي الإنسان والمدينة (1964م)²، ذلك التأثير الذي جعله بصفته مفكرًا يهتم بدرجة كبيرة بالكتابة المستترة ويتضح هذا في: "تعليقاته على فلسفة العصور الوسطى وتواصلها مع فلسفة أفلاطون"³، وعلى خلاف ما رآه دانيال تاونسيند من أهمية تأثر شتراوس بفكر أفلاطون والفارابي، يذهب عدد من الكتاب إلى أن: "استعادة رؤى سقراط وأفلاطون وأرسطو التي انتهجها شتراوس لا تشكل لغة مناسبة للفكر السياسي في عالم مختلف (العالم المعاصر)، كما أن استعادة نموذج حكم الفيلسوف (في نموذجي أفلاطون والفارابي) ليست أكثر من تمنيات عاجلة لا تفتأ تكرر التقسيم التقليدي للسياسة إلى فلاسفة وسادة سياسيين وعوام، وهو هنا يستخدم بدلاً من العمال عند أفلاطون تعبيرًا محدثاً وهو "الرعا (Bugaboos).".

والتقسيم التقليدي - المذكور آنفًا - "أخذ بالا اعتبار الشتراوسي ارتسام درب فلاسفته المفضلين"⁴، وبغض النظر عما يذهب له مثل هؤلاء الكتاب من تهميش قيمة بعض المصطلحات؛ التي تناولها شتراوس متأثرًا بالفلسفة الكلاسيكية، فإن العبرة هنا بالتأثر في حد ذاته، وليس في مدى ملائمة أو عدم ملائمة للحقبة المعاصرة، والتأثر هنا يتمثل أنه في تقسيم الناس إلى فلاسفة (سادة) وعوام، فإن الخطاب والحديث سيختلف من هؤلاء إلى هؤلاء؛ بما يستلزم طرق مختلفة للكتابة، كما اتضح وسيوضح لاحقًا.

يشير عماد شعبي إلى مثال آخر يأخذه شتراوس من الفارابي، الذي عده شتراوس من الفلاسفة الذين يتحدثون للفئة القليلة، فيوضح كيف أنّ المرء، قد يقول الحقيقة بكلمات معينة تكون غايتها الخداع فقط، وفي مختصر شاديا دروري لهذه الرواية (المنقولة عن الفارابي) تقول: "الناسك النقي معروف في المدينة باستقامته وحشمته وورعه، ومعروف أيضًا بتقشفه وتواضعه وكبح الشهوات، لكنه لسبب ما أثار عداوة حاكم المدينة له فأمر باعتقاله، واتخذ الإجراءات الكفيلة بعدم فراره من المدينة، واستنفر الحراس جميعهم على أبواب المدينة، وعلى الرغم من ذلك كله استطاع هذا الناسك أن

¹ - محسن مهدي، الفارابي وتأسيس الفلسفة الإسلامية السياسية، ص. 2.

² - Danial Townsend, *Leo Straus and Islam*, p. 37.

³ - Ibid, p. 38.

⁴ - عماد فوزي شعبي، ليو شتراوس وتأسيس الفلسفة الباطنية، ص 484،

يهرب من المدينة، فقد ارتدى ملابس السكّيرين وسار مغتياً، وهو يضرب على الصنج، واقترب من أبواب المدينة، ولما سأله الحراس: من هو؟ أجاب أنه الناسك المتعب؛ الذي يبحث عنه كل من في المدينة، لم يصدق الحراس قوله، فسمحوا له بالخروج"¹، ويعدّ هذا مثال يضربه شتراوس كدلالة على أهمية التورية حتى، وإن كانت صدقاً، وبالمثل كان يفعل الفلاسفة لمواجهة الاضطهاد؛ فقد ابتدعوا تقنيات في الكتابة تمكنهم من قول ما يريدون لمن يريدون دون أن يقعوا تحت طائلة العوام وسلطتهم القمعية"²، وقد درس شتراوس كتب الفلاسفة المسلمين، ووجد نماذج من تأثير الاضطهاد عند الفلاسفة مثل الفارابي الذي يقول عنه شتراوس إنه كان يشرح آراء أفلاطون لكنه ما يلبث أن ينسب له أفكاراً هي في الواقع أفكاره هو أي الفارابي وليس لأفلاطون"³، تلك الأفكار كانت مما لم يكن الفارابي قادراً على قوله مباشرة ونسبتها لنفسه.

ويتضح هنا العديد من السمات المتشابهة بين قراءة أفلاطون؛ التي يعزوها شتراوس للفارابي، وبين قراءته هو نفسه لأفلاطون، وأهم سمة التشابه الواضح كونهما كاتبين سريين، وكمثل قراءته لأفلاطون، كتب شتراوس أن فلسفة الفارابي الحقيقية، أو تعليمه السري، يتواصل عبر مدى من الأدوات والتقنيات البحتة، وتشمل تلك التقنيات الصمت ذا المعنى، التناقضات، وضع الأفكار الهامة في وسط المنشور أو النصوص، التكرار، أن يظهر نفسه كمعلق، وفقط التلميح لـ، أو الإشارة إلى، أو التضمين لـ أفكار معينة"⁴ من السهل أن تستشف تشابهاً مغلفاً بين التأويلات التي طبقها شتراوس على أفلاطون وبين تلك التي استخدمت في تأويله على الفارابي.

¹ - عماد شعبي، ليو شتراوس وتأسيس الفلسفة الباطنية، ص. 489. وانظر أيضاً: طوني بابر، انغلاق العقل الأمريكي ومملكة "شتراوس" السرية، جريدة الوسط البحرينية، ع: 21 أغسطس 2003 م:

<http://www.alwasatnews.com/349/news/read/342782/1.html>، اطلاع في 19 يوليو 2015 م.

² - سعد البازعي، ليو شتراوس والكتابة بين الأسطر، ماذا يفعل المفكر في مواجهة الاضطهاد؟

نشر في الحياة يوم 7 سبتمبر 2010، في:

<http://www.sauress.com/alhayat/180432>

³ - سعد البازعي، ليو شتراوس والكتابة بين الأسطر.. ماذا يفعل المفكر في مواجهة الاضطهاد،...

⁴ - Danial Townside, *Leo Strauss and Islam*, p. 188.

في كتابه: **الاضطهاد وفن الكتابة**، يعرض شتراوس كيف أنّ الفارابي أشار صراحة إلى أهمية التمييز بين نوعين من الكتابة تبعاً لما يشير إليه الفارابي، وفيما يتعلق بأمر الفلاسفة الحق، تؤكد صحته عددًا من الملاحظات صوب التمييز الفلسفي بين التدريس المعلن exoteric والتدريس الباطني / السريّ esoteric، التي تحققت في كتابات تابعيه، و"مؤلف الفارابي عن أفلاطون يخبرنا عن السبب - شديد الوضوح والأكثر قسوة - حول لماذا هناك حاجة إلى هذا التمييز القديم والمهجور، فالفلسفة والفلاسفة كانا في خطر داقع، ولم يعترف المجتمع بالفلسفة أو بحق التفلسف، ولم يكن هناك أي تألف بين الفلسفة والمجتمع"¹، ولكن لماذا الطريقة المعلنّة exoteric؟ يجيب شتراوس في كتابه **الاضطهاد وفن الكتابة**، "وذلك من خلال عرضه لأراء الفارابي لوجهات نظر أفلاطون في عصره: لقد كان التدريس المعلن مطلوبًا لحماية الفلسفة، فهو الدرع الذي كان على الفلسفة أن تظهر داخله، وقد كان ذلك مطلوبًا لأسباب سياسية"²، فقد كان ذلك هو الشكل الذي يمكن أن تصبح الفلسفة مرئية من خلاله للمجتمع السياسي، وقد كان ذلك هو الجانب السياسي من الفلسفة.

ينسب شتراوس إلى الفارابي سببه في إيجاد وتطوير مناهج دقيقة، فحتّي الظروف الصعبة للكتابة؛ التي يسود فيها الاضطهاد يمكن تطويرها لصالح الفلسفة والفلاسفة، فيقول: إنّ في ظل بعض الظروف لم يكن الوضع الهش للفلسفة في المجتمع ضارًا بالفلسفة، أي يتمثل الأمر في أن الاضطهاد يمكن توظيفه، لقد ساعد الاضطهاد الفلاسفة في تطوير مناهج دقيقة للكتابة والاتصال للتهرب من أن يكتشفها المراقبون، وعلى الكتاب الذين يعيشون في أوقات الاضطهاد أن يكونوا أكثر حرصًا من هؤلاء الذين يعيشون في أوقات حرة وليبرالية، ولقد كان هذا أكثر صدقًا مع كتاب مثل الفارابي Alfarabi وموسى بن ميمون (مايمونيديس) Maimonides اللذين أضفا على الكتابة المستترة esotericism شكلها الأكثر ثراءً فلسفيًا، وبالمثل وعلى نحو هام، لقد ضمن الاضطهاد السمة الخاصة للفلسفة من تدخلات وإشراكات السلطة السياسية، وليس بسبب أن الفلسفة تفسد المجتمع، فالمجتمع - على الأقل - عدوّ التميز والصفوة، وهو يفسد - بالضرورة - الفلسفة.

إنّ شتراوس يعد الطريقة المستترة للكتابة ليست فقط حماية للفلاسفة، بل إنّها أيضًا حماية للفلسفة نفسها، من حيث أن كشف الفلاسفة لأرائهم دون قناع؛ وحتى في المجتمعات الحرة الديمقراطية؛ التي من المتوقع أن لا يحدث لهم ضرر فيها، سيعطي

¹- Leo Straus, **Persecution and the art of writing**, p. 17.

²- Leo Strauss, **Persecution and the art of writing**, p. 19

فرصة لذوي السلطة التدخّل في الفلسفة، وستفقد الفلسفة الحماية أو الدرع الواقعي لها من الغوغائية.

فلسفة الكذب الأبيض والسياسة الخارجية الأمريكية، التأثير والتأثر

فلسفة الكذب الأبيض

من الواضح أن شتراوس طبق طريقة الكتابة المستترة على نفسه و: "أوصى تابعيه بما يسمى بـ: القراءة الواعية"¹ لقد علّم تلاميذه كيف يقرأون و: "كيف يتمنى الكتاب الحريصين، مثله، أن تتم قراءة أعمالهم"²، ويطرح ذلك تساؤلاً عما إذا كانت الكتابة بين السطور، التي علّمها لتلاميذه، ويريد هو أيضاً قارئ أعماله أن يتبعها توجي بشرعية الكذب؛ أي أن يعلن الفيلسوف أمراً، ثم يضمّر أمراً آخر بين السطور أو أن يتحدث بلسان شخصية أخرى؛ فلا يفصح مباشرة عن آرائه.

وفي هذا الصدد تذهب أستاذة الفلسفة السياسية الكندية شاديا دروري في ردّها على سؤال المحاور داني بوستيل، حول مدى وجاهة تأويل شتراوس لمقولة الكذب الأبيض عند أفلاطون؟ فأجابت: "نادرًا ما تحدث شتراوس باسمه، لقد كتب بصفته معلقًا على النصوص الكلاسيكية للنظرية السياسية، وكان معلقًا عنيدًا ومجادلاً فدًا، موضّحًا الفرق الأساسي، الذي يسود ويشكل كل أعماله؛ فيما بين القدامى والمحدثين، لقد قسم شتراوس تاريخ الفكر السياسي إلى معسكرين: الحكماء والماكرون القدامى (مثل أفلاطون)، بينما المحدثين (مثل لوك وغيره من الليبراليين) هم الحمقى والمبتذلين"³ والآن بدا لشاديا وبكل وضوح أنه من العدل والمعقولة أن ننسب إلى شتراوس كل الأفكار التي نسبها هو إلى القدامى المفضّلين لديه.

ويفسر عدد من الباحثين تأثر شتراوس بـ "نيتشه" بأنه يرجح كيف أن شتراوس جعل الكذب مشروعًا تحت ما يسمى الأكاذيب النبيلة، فيذهب عماد فوزي شعبي في بحثه: ليو شتراوس وتأسيس الفلسفة الباطنية إلى أنّه- وفق شتراوس - فإنّ الرجل الذكي، الفيلسوف هو ذلك الرجل الذي يندر مثيله بين الرجال، ويستطيع أن يواجه

¹- Steven Smith, **why Strauss, why now?**

²- Steven B. Smith, **Reading Leo Strauss**. p. 165.

³- Shadia Durury, Nobel lies and perpetual war: Leo Strauss, the neo-cons, and Iraq, in an interview by Danny Postel (on) Open Democracy, October 18, 2003. (on):

<http://www.informationclearinghouse.info/article5010.htm>.

الحقيقة، هذه الحقيقة هي أن الله غير موجود، وأن الكون لا يهتم البتة بالبشر أو الجنس البشري، أو أن تاريخ البشرية كله ليس أكثر من مجرد نقطة تافهة في هذا الكون الواسع، التي ما أن تبدأ بالظهور؛ حتى تتلاشى أبداً دون أن تترك أثراً، وأنه لا توجد أخلاق، ولا يوجد خير وشر، وبالطبع لا يوجد شيء اسمه الحياة الآخرة؛ فهذه مجرد قصة من قصص العجائز، فالغالبية العظمى من الرجال والنساء، من جهة أخرى، بعيدون كل البعد عن كونهم يملكون القدرة على مواجهة الحقيقة، فهذه القدرة تخصّ جنساً آخر غير الجنس البشري، وهذه الغالبية هي التي يسميها نيتشة **القطيع**، ويدعوهم أيضاً **العبيد**؛ هؤلاء بحاجة إلى رجال مخيفين لديهم إله مهدّد بالعقاب، ولديهم عقاب في الآخرة وقصص خيالية عن أخلاقيات الصواب والخطأ، ومن دون هذه الأوهام يصاب الناس بالجنون وتعم فيهم حوادث الشغب وينهار النظام الاجتماعي، أي نظام اجتماعي.

ولما كانت الطبيعة البشرية لا تتغير كما يقول شتراوس، فهذا الوضع سوف يستمر على حاله، والرجال المتفوقون/ الفلاسفة هم الذين يقدّمون للقطيع كل ما يحتاج إليه من معتقدات دينية وأخلاقية وغيرها، على الرغم من أنهم يعرفون في قرارة أنفسهم أن هذه المعتقدات كلها أكاذيب، يقول نيتشة: "إنّ هؤلاء الرجال المتفوقين **كهنة ملحدون**، أما شتراوس، فيدعي أن أكاذيبهم هي **أكاذيب نبيلة** وبالطبع فهم لا يفعلون ذلك حباً بالخير، ذلك أن نيتشة وشتراوس يهزؤون بالمحبة وحب الخير للجميع، ويصفون هذه الأفعال بأنها غير جديرة بالآلهة أو بالرجال أشباه الآلهة"¹، بل إن هؤلاء **الفلاسفة** يستخدمون هذه الأكاذيب؛ ليصنعوا المجتمع وفق مصالح هؤلاء الفلاسفة أنفسهم.

وحتى يتحقّق ذلك للفلاسفة، فعليهم أن يتحرّكوا بحيلة وحذر، وهنا تضيف **شاديا دروري** بأنّه - وفقاً لشتراوس- "يجب على القلة من الحكماء أن يتحرّكوا بحيلة وحذر، وهكذا وصلوا إلى نتيجة مؤداها أن لديهم تبريراً أخلاقياً؛ كي يكدّبوا من أجل تقادي الاضطهاد، لقد وصل شتراوس إلى قول ما هو أبعد من ذلك بأن التضليل والخداع- أو بالأحرى ثقافة الكذب- هي العدالة المميزة للحكماء.

لقد برر شتراوس موقفه باسترجاع مصطلح أفلاطون حول الكذب الأبيض noble lie، ولكن في الحقيقة، لم يكن تصور شتراوس عن مصطلح الكذب الأبيض لأفلاطون ثرياً، لقد اعتقد أفلاطون بأن الكذب الأبيض هو قصة تفاصيلها مختلفة، ولكن في قلبها تتواجد الحقيقة العميقة.

في أسطورة المعادن metals - على سبيل المثال - أنّه لبعض الناس أرواح ذهبية، بمعنى أنّهم أكثر من قادرين على مقاومة إغراءات السلطة، وهؤلاء النماذج ذو الثقة

¹ - عماد فوزي شعبي، ليو شتراوس وتأسيس الفلسفة الباطنية، ص. ص. 496، 497.

أخلاقياً هم الأشخاص؛ الذين يناسبون أكثر من غيرهم أن يكونوا في الحكم، وتمتلى أسطورة المعادن بالتفاصيل والاختلاقات، بيد أن أخلاقية القصة تكمن في أنه ليست كل الكائنات البشرية متساوية أخلاقياً.

في تناقض مع هذه القراءة لأفلاطون، يعتقد شتراوس أن علو وسمو superiority الفلاسفة الرواد هو سمو فكري وليس أخلاقياً، فمن وجهة نظر العديد من المعلقين (الشارحين) (مثل كارل بوبر Karl Popper) الذين رأوا أفلاطون شمولياً، تتمثل النتيجة المنطقية في الشك بأن الفلاسفة يمكن الثقة فيهم، عندما يحصلون على السلطة السياسية، إن هؤلاء الذين قرأوا له بهذه الطريقة يرفضونه بإصرار، ويعدّ شتراوس المفسر الوحيد الذي أوجد قراءة (شريرة) لأفلاطون، ثم احتفى به¹، ولعلّ من دافع عن شتراوس، دافع عنه مع تأكيده أن شتراوس دافع عما يسمى بـ **الكذب الأبيض**، فنجد سيتفن سميث يناقض نفسه، ففي الوقت الذي يدافع فيه عن شتراوس، ويرفض أسهم الاتهام بأن شتراوس أباح **الكذب الأبيض** وأن يعلن الفيلسوف في كتاباته خلاف ما يضمّر حقاً، نجده نفسه (سيتفن سميث) يقول في موضع آخر: "ربما يكون الجانب الأكثر وضوحاً في أسلوب شتراوس في القراءة هو إدعاؤه بأن: "الرأي الحقيقي للمؤلف ليس من الضرورة أن يتماثل مع ذلك الذي يعرض له في عدد كبير من الفقرات"² وإن النية الحقيقية للمؤلف يمكن الكشف عنها بوضوح من خلال ما يترك متوارياً، أو تمّ التلميح إليه ببراعة بشكل مرجح عما تم التأكيد عليه بثبات وباستمرار.

تأثير شتراوس على السياسة الأمريكية

تعد شاديا دروري من أكثر مفكرات الغرب ومفكره فهماً لفلسفة شتراوس المؤثرة؛ إذ أكدت دوماً على التأثير الذي أحدثه شتراوس على تلاميذه، والذين أثروا بدورهم على صانعي القرار في الولايات المتحدة الأمريكية، وتستشهد - في هذا الصدد - بما ورد في تأويله لأفلاطون في كتابه الإنسان والمدينة، وتقول: "في محاورات أفلاطون، يفترض كلّ قارئ أن سقراط هو المتحدث بلسان أفلاطون، بيد أن شتراوس يذكر في كتابه المدينة والإنسان أن ثراسيماكوس Thrasymachus هو المتحدث الحقيقي بلسان أفلاطون"³، إذًا، علينا أن نخمن أن شتراوس يشارك بعد نظر ورؤى أفلاطون

¹- Shadia Durury, **Nobel lies and perpetual war: Leo Strauss, the neo-cons, and Iraq**,

²- Steven B. Smith, **why Strauss, Why now?**

³- See, Leo Strauss "City and Man", pp. 45 – 47, 38 – 48, 97, 100, 101.

الحكيم (المعروف باسم ثراسيماكوس) حول أن العدالة هي فقط مصلحة الأقوى، فيقوم هؤلاء الذين في السلطة بوضع القواعد وفق مصالحهم، ويدعونها عدالة، طالما دافع ليو شتراوس عن المذهب السياسي لـ ثراسيماكوس وميكيافيللي وتظهر هذه الرؤية للعالم جليا في السياسة الخارجية للإدارة الحالية في الولايات المتحدة¹، وتستنتج شاديا دروري من ذلك وتعلن كيف أن شتراوس وغيره من أمثال كوجيف وكارل سكيمت، كما يتضح في مراسلات شتراوس مع كوجيف في كتابه عن الطاغية، كيف أنهم جميعا يعتقدون أن الطبيعة البشرية للإنسان تقوم على استعداده للاندفاع مجردا وبتهور إلى معركة حتى موته، فقط الحرب الدائمة هي التي تستطيع قلب المشروع الحديث، بتأكيدها على حفظ الذات وراحة المخلوقات، ويمكن تسييس الحياة أكثر من ذلك، ويمكن إعادة تشكيل (تجديد) الطبيعة الأدمية للإنسان، وترى أن هذه الرؤية المروعة تتناسب تماما مع الرغبة في الشرف والعظمة؛ التي يشتهيها نبلاء المحافظين الجدد، وتتفق أيضا مع الحس الديني لدى النبلاء، وتعتبر تركيبة الدين والقومية هي جهر ما دافع عنه شتراوس باعتباره طريقة لتحويل الرجال الطبيعيين المتراخين والشهوانيين إلى قوميين مخلصين على استعداد للحرب والموت من أجل الله والبلد، ثم تقول: "لم أُنخّل أبدا حينما كتبت أول مؤلفاتي عن شتراوس أن الصفوة معدومة الضمير؛ التي دعمها ستصبح أبدا قريبة من السلطة السياسية، ولا أن طاغية الحكماء المشنوم سيصبح أبدا قريبا من أن يتحقق في الحياة السياسية"²

ويتفق مع دروري في الرأي الدكتور عماد فوزي شعبيبي؛ الذي يعرض لجدل دار بين اثنين من تلامذة شتراوس ويسترشد منه كيف أنه لم يكن للأخلاق مكان في فلسفته؛ فيشير إلى أنه من خلال الحوار الذي جرى بين اثنين من أهم الشتراوسيين هما توماس بانجلي (Pangle)، وهاري جافا (Jaffa)، ونشر على حلقات في مجلة كليرمونت ريفيو (Claremont Review) من خريف 1984م، وحتى صيف 1985، وتواصل نشره في مجلة ناشيونال ريفيو (National Review) في 20/11 و 29/11/1985. فقد اشتمل حديث بانجلي ضمنيا أنه عند شتراوس ليس للفضيلة الأخلاقية دور عند الرجل الذكي حقًا أو الفيلسوف، فالفضيلة الأخلاقية ليس لها وجود إلا في الرأي الشعبي؛ إذ يكون هدفها السيطرة على غالبية الناس غير الأكذباء، وفي موضع آخر من هذا النقاش، ذكر بانغل أنه بالنسبة إلى شتراوس فإن الفلسفة أثبتت بطلان العقيدة

See also, M.F. Burnyeat, "Sphinx without a Secret", *New York Review of Books*, 30 May 1985.

See, Leo Strauss, natural right and history, p. 106.

¹- Shadia Drury, Leo Strauss and Nobel lies.

²- Shadia Drury, Nobel lies, ...

الدينية¹، ويضيف: "ولهذا فالفضيلة الأخلاقية قيمة مضافة هدفها السيطرة وهنا لا بد من التورية واعتماد الحقيقة بصفاتها قيمة مخفية كجزء من الفلسفة الباطنية"²

ويقرن جيم لوبي بين تأثير شتراوس بفكر توماس هوبز وميكيافيللي وتأثيره هو نفسه على السياسة الخارجية الأمريكية، لاسيما في إشعال وتيرة هاجس **العدو الخارجي** وفكرة الحرب الدائمة؛ فيشير إلى أن شتراوس اعتقد - تأثراً بهوبز - أن الطبيعة العدوانية المتوارثة للكائنات البشرية؛ يمكن فقط أن تقيد بوساطة دولة قومية قوية، "لأن النوع البشري في جوهره شرير، فيجب أن يُحكم، وهذا الحكم يمكن أن يؤسس فقط عندما يتحد الرجال، ويمكنهم فعل ذلك فقط عندما يتحدوا ضد الآخرين، وهذا ليس مثيراً للدهشة، وفقاً لجيم لوبي، فستراوس حينما توجه نحو السياسة الخارجية كان وبشكل مميز توجهاً ميكيافيللياً"³، ويعتقد شتراوس أن النظام السياسي يمكن أن يكون مستقراً فقط إذا ما توحد بتهديد خارجي، واتباعاً لميكيافيللي، "أكد أنه إذا لم يتواجد تهديد خارجي إذاً يجب أن يتم تصنيعه، فالحرب الدائمة، وليس السلام الدائم، هو ما يؤمن به الشتراوسيون، وبسهولة ترجمت الفكرة، إلى سياسة خارجية عدوانية مقاتلة، من ذلك النوع الذي كرس بواسطة مجموعات المحافظين الجدد أمثال الدراسين في PNAC and AEI scholars - ولن نذكر ولفيتز وغيره من صقور الإدارة الذين دعوا إلى نظام عالمي جديد تسيطر عليه القوة العسكرية للولايات المتحدة، و"يرى تلامذة شتراوس من المحافظين الجدد السياسة الخارجية كأداة لإنجاز المصير القومي national destiny كما عرفها إرفينج كريستول بالفعل في 1983م، التي تذهب إلى ما وراء التعريفات الضيقة للأمن القومي القاصر النظر، إن الصورة تشمل رؤية المحافظين الجدد لعلاقة الولايات المتحدة مع باقي العالم، وبالمثل علاقاتهم بصفهم صفوة حاكمة، وكون الجماهير لا يستخدمون بالفعل الليبرالية والديمقراطية"⁴، بل يغزون العالم باسم الليبرالية والديمقراطية وفق ما أورده جيم لوبي.

وتأبيدًا لتأثير شتراوس على صانعي القرار في الولايات المتحدة من خلال تلاميذه من المحافظين الجدد، يقول سعد البازغي: "يعد شتراوس أحد كبار فلاسفة العلوم السياسية وتاريخ الفكر السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، وقد تعالى ذكره

¹ - عماد فوزي شعبي، **ليو شتراوس وتأسيس الفلسفة الباطنية**، ص. 495.

² - نفس المرجع السابق، ص. 496.

³ - Jim Lobe. **Jim Lobe**, Leo Strauss' Philosophy of Deception, Posted on AlterNet website on May 19, 2003. (On) <http://www.alternet.org/story/15935>

⁴ - Jim Lobe,

في التسعينيات مع بزوغ نجم المحافظين الجدد في الولايات المتحدة بوصفه أستاذًا للكثير منهم ومنظرًا للفكر السياسي الذي تبناه والذي ترك أثره على سياسة الولايات المتحدة في فترة جورج بوش الابن، ويذكر - في هذا السياق - أنه كان يؤكد دائماً أن المعرفة وصناعة السياسة هي من اختصاص عليّة القوم، وأنّ العوام ليس لهم إلا القيادة فلا يقال لهم إلا ما يستطيعون فهمه، وإن كان من الضروري تزييف الواقع لقيادتهم فلا بأس¹، ويذهب داني بوستيل إلى أن هناك انقسام بين أتباع شتراوس أنفسهم، لاسيما هؤلاء الذين يطلق عليهم اليمين الأمريكي بين واقعيين: أصحاب النظرة الواقعية لسياسة الخارجية الأمريكية، على نمط ميكافيللي وثراسيماخوس - Thrasymachus and Machiavelli، وهم براجماتيون من جهة، ومن جهة أخرى المحافظون الجدد، الذين يرون أنفسهم مثاليين، بل وأخلاقيين في مهمتهم للإطاحة بالطغاة²، ومن ثم في كفاحهم ضد الواقعية المزعومة.

وفي رؤيتها لهذا التناقض بين أتباع شتراوس، ترى الكاتبة شاديا دروري أن المحافظين الجدد - وعلى نحو بعيد - صادقون برغبتهم في نشر النموذج التجاري الأمريكي للديمقراطية الليبرالية حول العالم، فهم مقتنعون بأن ذلك هو أفضل الأمور ليس فقط لأمريكا، وإنما للعالم اجمع، وطبيعياً، هناك توتر بين المثاليين والواقعيين من أصحاب العقول الصلبة داخل الإدارة، وتقرن بين هذه التوترات والصراعات داخل الإدارة الأمريكية بصفاتها انعكاساً للاختلافات بين التدريس السطحي، الذي يناسب النبلاء، و التدريس الليلي أو التدريس السري، والذي يخص الفلاسفة وحدهم، وتضيف: "ليس من المحتمل لأيديولوجية دعمت بواسطة تدريس سري أن تكون منسجمة تماماً"³، وتضرب دروري بالقومية الأمريكية مثلاً على ذلك، فالفلاسفة، الراغبين في تأمين الأمة ضد أعدائها الخارجيين، وبالمثل ضد التدهور والتراخي والاستهلاك الداخلي، يشجعون الحماسة الوطنية بين النبلاء محبّي الشرف والرفعة المسيطرين على

¹ - سعد البازعي، ليو شتراوس والكتابة بين الأسطر... ماذا يفعل المفكر في مواجهة الاضطهاد؟

² - Danny Postal, **in his interview with Shadia Durury, Nobel lies and perpetual war: Leo Strauss, the neo-cons, and Iraq**, (on) Open Democracy, October 18, 2003. (on):

<http://www.informationclearinghouse.info/article5010.htm>

³ - Shadia Durury, Nobel lies and perpetual war: Leo Strauss, the neo-cons, and Iraq, in an interview by Danny Postel (on) Open Democracy, October 18, 2003. (on):

<http://www.informationclearinghouse.info/article5010.htm>

زمام السلطة، وتتألف هذه الروح القومية القوية في الاعتقاد بأن أمتهم وقيمها هي الأفضل في العالم، وأن كل الثقافات الأخرى وقيمها هي الأدنى عند المقارنة، وتعطي دروري مثالاً بالفيلسوف الأمريكي المحافظ إرفينج كريستول **Irving Kristol**، وهو أب الاتجاه المحافظ وتلميذ شتراوس، فقد شجب القومية في مقال له 1973م، ولكن في مقال آخر 1983م أعلن أن سياسية الخارجية للاتجاه المحافظ الجديد، يجب أن يعكس نزعاتها القومية، وبعد حقبة من الزمن، وفي عام مقال 1993م زعم أن الدين، القومية، والنمو الاقتصادي هم أعمدة الاتجاه المحافظ الجديد، وتتبع الوطنية من حبّ ماضي الأمة، وتنشأ القومية من الأمل بعظمة رائعة لمستقبل الأمة، ويؤمن المحافظون الجدد بأن أهداف سياسة الخارجية الأمريكية يجب أن تذهب إلى ما وراء التعريف الضيق والحرفي لـ الأمن القومي، وأنها المصلحة القومية لسلطة العالم، كما يعرفها مصير الحسّ الوطني، وليس الأمن القومي قصير النظر، وتشير إلى أنّ هناك الكثير من ردودا ذلك الرأي من أتباع الشتراوسية المعاصرة مثل هاري جيفا **Harry Jaffa**، حينما قال أن أمريكا هي كنيسة الله **Zion** التي ستثير العالم أسره.

من السهل رؤية كيف أن هذا النوع من التفكير يمكن أن ينحرف (يخرج عن المألوف) ولماذا يميل الواقعيون أصحاب الأدمغة الصلبة إلى رؤية ذلك أمرًا ساذجًا إن لم يكن خطرًا.

ولكن قلق شتراوس على الطموحات العالمية لأمريكا مختلف تمامًا، مثل هيدجر، سكميت وكوجيف، كان شتراوس مهتمًا أكثر فيما إذا كانت أمريكا ستنتج في هذا المشروع أكثر أو ستخفق، وفي هذه الحالة سيطفى "الرجل الأخير" كل آمال الإنسانية (نيتشه)؛ وسيصبح "ليل العالم" تحت السيطرة (هيدجر)؛ وسيكتمل انحدار الإنسان إلى مستوى البهائم (كوجيف)؛ ويتم تحويل الحياة إلى شيء جد تافه (سكميت)، هذا ما تعينه بالنسبة لهم الطموحات أمريكا العالمية.

ويُعدّ كتاب **نهاية التاريخ والإنسان الأخير** لفرانسيس فوكوياما هو تعميم لوجهة النظر هذه؛ إذ إنه يرى الكارثة القادمة للسلطة العالمية لأمريكا شيئًا حتميًا.

تبعًا لوجهة النظر، تلك الخاطئة للعالم، إذا أخفقت أمريكا في تحقيق مصيرها القومي، وتورطت في حرب دائمة، حينئذ سيكون كل ذلك على ما يرام، حالة الإنسانية للإنسان، التي تعرف في مصطلحات الصراع حتى الموت، أنقذت من التحطّم، ولكن رجال مثل هيدجر، سكميت، كوجيف وشتراوس يتوقعون الأسوأ، فهم يتوقعون أن

الانتشار العالمي لروح التجارة سيلين أخلاق الرجال"¹، وهذا التعظيم الفاشي للموت والعنف ينبع من العجز الشديد عن الاحتفاء بالحياة والابتهاج والمتعة المحضة للوجود.

في الوقت الذي صوب فيه فلاسفة وكتاب من أمثال شاديا دوروري وجيم لوبي الاتهام إلى ليو شتراوس، بأنه الأب الروحي للمحافظين الجدد الذين كانوا بدورهم صانعي أو ملهمي صانعي القرار في الولايات المتحدة؛ فإن أحد تلامذة المقربين، وهو المفكر الأمريكي ستانلي روزن ينفي كل ما سبق تمامًا، بأن شتراوس لم يكن أبدا مسؤولاً عن فكر المحافظين الجدد أو الرجعيين، وقد ذكر: "بعيداً تماماً عن إعداد رجعيين متطرفين، كما يتم اتهامه كثيراً حالياً، لقد جلب إلينا ممر الاعتدال والحكمة العملية"²، ولطالما علم شتراوس – فعلاً - تلاميذه طريقتين للكتابة طريقة مستترة للعامة وطريقة سرية للصفوة، فإنه ليس فعلاً مستبعداً الآراء التي كان يعرض لها شتراوس على أنها تخص الآخرين؛ إذ كانت هي آرائه هو، والأرجح هو ما ذهبت إليه الكاتبة شاديا دوروري.

¹- Shadia Drury, Nobel lies.

²- Stanely Rosen, Leo Strauss in Chicago, Daedalus, Vol. 135, No. 3, On Body in Mind (Summer, 2006), P. 107.